* القرن 14 م *

- الباروني بن محمد (- 734 هـ)، (- 1334 م)
- التلمساني عبد الغني (- 721 هـ)، (- 1321 م)
- التلمساني عبد الله بن محمد (747 - 792 هـ)، (1347 - 1390 م)
- التلمساني علي بن محمد (- 791 هـ)، (- 1389 م)
- الخزاعي علي (710 - 789 هـ)، (1310 - 1387 م)
- المليكشي محمد بن عمر (- 740 هـ)، (- 1339 م)
- المقري محمد (- 759 هـ)، (- 1359 م)
- النباش - ابن - محمد (؟)، (؟)

* القرن 15 م *

- التلمساني أحمد بن عبد الرحمان (- 895 هـ)، (- 1490 م)
- الوهراني علي بن قاسم (ق 9 هـ)، (ق 15 م)

* القرن 18 م *

- الشاهد - ابن - محمد (- 1206 هـ)، (- 1792 م)

Créé avec nitroPDF professional
Télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

الدكتور غانم محمد
جامعة وهران

مقاومة الأمير عبد القادر من خلال الأسطوغرافيا المغاربية التقليدية

كيف يتعامل الخطاب التاريخي التقليدي في المغرب مع تجربة الأمير عبد القادر - مقاومة - ودولة ؟ .

هل لهذا الخطاب أسس معرفية تؤهله لأيصال رسالة « الوطن والحداثة » التي ترمز لها أعمال الأمير السياسية والعسكرية ؟ .

ذلك هو السؤال الذي طرحته في هذه المقالة، ولمعالجته إخترت كتابي « الاستقصا في اخبار دول المغرب الأقصى » و « طلوع سعد السعود في اخبار مدينة وهران ومخزنها الأسود » وابعدت كتاب « تحفة الزائر » لما يتضمنه من اقتباسات كثيرة عن المؤرخين الفرنسيين ولاسيما « بلمار » وللوصول إلى اجابة عن السؤال المطروح، انتهجت طريقة تحليل النص التاريخي التقليدي بهدف توضيح الأسس النظرية التي تؤطر بنيته وتقرر إشكالياته .

1/ الناصرى والاستقصاء - والمازرى وسعد السعود :

1 . 1 - الناصرى :

هو أحمد بن خالد الناصرى السلاوي يتصل نسبه بمؤسس الزاوية الناصرية في المغرب الأقصى ولد بسلا سنة 1835، تعلم بمسقط رأسه ثم انتقل إلى فاس لتكميل دراساته بجامعة القرويين وعلى أثر انتهاء تعليمه اشتغل بالوظائف المخزنية في سلا والدار البيضاء ومراكش وطنجة وفاس وغيرها .

- يقول « ليفي برو فنصال » صاحب « مؤرخو الشرفاء » من المرجح أن تلك التنقلات هي التي حفزته على كتابة تاريخ بلاده لأنها أتاحت له الاطلاع على وثائق الحواضر المغربية ومستنداتها .

وللناصرى عدد من المصنفات منها تعظيم المنة بنصر السنة تولى فيه التنبيه على البدع المحدثة في الدين والتشديد بأهلها من شيوخ الطرق الدينية، وله كتاب آخر في التعريف بالزاوية الناصرية سماه « طلعة المشتري في النسب الجعفري » أراد فيه إثبات شرف أسرته وأهل الزاوية التمكروثية .

- ولكن اعظم عمل اشتهر به الناصرى هو كتابه « الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى » وتوفي الناصرى بسلا سنة 1897 .

1 . 2 - الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى :

- كان نشر الاستقصاء بمثابة تقدم لانظير له في حركة التأليف المغربي . فإنه لم يقتصر فيه على ذكر أخبار فترة زمنية بل ضمنه تاريخ بلاده العام . في هذا الصدد يقول العروي ((هو

تأليف كامل لتاريخ المغرب الأقصى يقدم على رواية متصلة من مادة التاريخ السياسي
ت مبعثرة في كتب الأخبار أو كتب التراجم والطبقات)).

- والكتاب يحمل رسالة واضحة إذ يريد منها صاحبها ((إثبات جميع المقومات المتعلقة
يخ المغرب العام فالمؤرخون الذين سبقوه لم يهتموا إلا بجزء من أجزائه لأنهم كانوا ينظرون
تاريخ المغرب الأقصى كجزء من تاريخ أعم وأشمل.

- أما من الناحية المنهجية فإن الاستقصاء لايعدوا أن يكون في معظمه جمعا لنصوص
ار وردت في تأليف سابقة كابن أبي زرع وابن خلدون والافراني والزياني والقادرى
هم وقد رتبه الناصرى على طريقة « الحوليات » يذكر وقائع السنة وينهيها بذكر وفيات
ان.

فالناصرى - رغم إستقلال رأيه - لايستخلص الأحداث العامة، بل هو كاتب
يات » يسجل أحداثا لاتربط بينها رابطة فكرية إن هذه الطريقة لاتترك للمؤرخ مجالا
م أحداث عصره وإبداء رأيه الاجمالي فيها.

تألف « الاستقصاء » الذى طبع لأول مرة في القاهرة أوائل القرن العشرين من أربعة
.

م الأول : في السيرة النبوية والخلفاء الراشدين وتأسيس فاس وأخبار المرابطين
دين.

م الثاني : يتناول بالتفصيل تاريخ المرينيين والوطاسيين.

م الثالث : يتناول فيه تاريخ السعديين.

م الرابع : يتناول فيه تاريخ العلويين، وفيه يتحدث عن الغزو الفرنسي للجزائر وعن
المغرب من الاحتلال الفرنسي والمقاومة المسلحة بقيادة الأمير عبد القادر.

- المازرى :

سي المازرى (إسماعيل بن عودة) إلى عائلة مخزنية شهيرة : « البحايثية » بقبيلة
ير » تولى أبوه محمد المازرى منصب آغا في العهدين التركي والفرنسي وعلى إثر وفاة أبيه
له وظيفة آغا لانعرف الكثير عن حياته الشخصية السياسية والثقافية لأن الفصل
بترجمة حياته بتر من كتابه (من صفحة 538 إلى صفحة 545).

ى تعليما فقهيا وأدبيا على يد علماء أمثال ابن يوسف الزياني صاحب « دليل الحيران »
أنه توفى سنة 1897 لكننا لانعرف مكان وفاته ليس من الصعب أن نعثر على ترجمة
مؤلف إذا رجعنا إلى الوثائق الفرنسية خاصة تلك التي تتعلق بالأسر الجزائرية التي
بالادارة الفرنسية.

طلوع سعد
مخطوط من 582 صفحة في تاريخ وهران حققه « يحي بوعزيز » ونشره تحت عنوان
سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا إلى أواخر القرن التاسع عشر ».

Créé avec nitro PDF professional
nitropdf.com/professional

ـ في العنوان لأن المازري اختار عنوانا
أخبار وهران ومخزنها الأسود ». ويتألف

ـ لقد تصرف المحقق، على غير عادة المح
يتناسب مع مقاصد كتابه « طلوع سعد السعو
المخطوط من خمسة مقاصد.

4 صفحة في أخبار وهران والدول التي

ـ المقصد الأول : في تأسيس مدينة وهران.

ـ المقصد الثاني والثالث : في التراجم والأولياء.
بائل المخزنية التي تولت قيادة المقاطعة

ـ المقصد الرابع : وهو أكبرها إذ يحتوى على
حكمتها.

بائل المخزن إلا أنه ميع في عدد كبير من

ـ المقصد الخامس : وهو « عين المراد » : في
ريخ لملوك إسبانيا وملوك الدولة العثمانية
بعا في الكتابة التاريخية لكن المازرى قد
ران.

المسلحة بقيادة الأمير عبد القادر وبقبائل
عموم نقل عن مصادر سابقة كابي رأس
ي وأحمد البوشيخي الشقراني أو مقتبسات

ـ إن أهم مافي الكتاب، فصوله الخاصة بالمق
المخزن أما باقى الموضوعات ومحتوياتها فهي ع
امى وأن اعتمد على مصادر فرنسية مثل
الأحداث والوقائع ولايبحث عن أصولها
المعسكرى ومسلم بن عبد القادر وابن يوسف
من كتب حول تاريخ ملوك فرنسا وإسبانيا (1)

ـ يكتب المازري التاريخ بطريقة المؤرخين
« استرازي » و « مارتنبرى » وغيرهما أنه يس
وأبعادها العامة.

ـ هل المخطوط من تأليف المازري ؟

ـ إن هذا السؤال طرحه « مارسيل بودان
« حسن » من كتاب « سعد السعود » وأجاب ع
في نظر « بودان » رجل سيف وليس رجل قلم،
بين « سعد السعود » ودليل الحيران فوجد تشابه
إلى أن الكتاب من وضع الزياني.

ـ لم يتعرض الزياني في « الدليل » إلى العهد
أن الباب الخاص « بوهران في عهد الفرنسيي
المقدمة التي وضعها المرحوم « الشيخ البوعبدلي » « لـ

(1) ـ أبو رأس : عجائب الاسفار.
ـ مسلم بن عبد القادر : أنيس الغريب.
ـ إبن يوسف الزياني : دليل الحيران.
ـ أحمد الشقراني : القول الأوسط.

إلى مبايعته والدخول في طاعته ».

ـ مما لاشك فيه، أن الأمير عبد القادر رفض عروض
أن « رواية التملك المغرب الأقصى » التي تسودها ا
القادر أنكر صحتها وبعث إلى فاس سفارة بإشراف خ
(يؤكد المازري هذه السفارة في كتابه).

فالبوعبدلي يتحدث عن مخطوط ينسبه إلى الزيان
التأسيس فيما وقع لنا مع الفرنسيين »، ويحتمل أن
يحقق بعد، ومخطوط المازري واضحا في هذه الح
« سعد السعود » إلى الزياني أستاذ المازري.

2/ الأمير والمقاومة في ضوء الاستقصاء :

ـ يتحدث الناصرى عن المقاومة المسلحة بقيادة
الموقف المغربي من الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة

ويلخص الناصري موقفه من الأمير عبد القاد
الحاج عبد القادر هذا في أول أمره على ماينبغي من
ولولا أنه إنعكس حاله في آخر الأمر وخلصت الأرض

ـ ويؤكد الناصري للقارىء أن هذا الحكم ليس
يقول ((واعلم أنه قد يقف بعض المنتقدين على ما
تعصب وسوء وأدب والجواب أن ماحكيناه إلا الواقع
الرسمي المغربي ذاته لكنه لايعتبره تزلفا ومسايرة للم

ـ قبل الشروع في تفسير الأسس النظرية التي
نوضح تقييمه للأمير والمقاومة عموما فالناصري،
بقيادة الأمير عبد القادر : مرحلة أولى يعتبر فيها
ينعت فيها الأمير بالفاسد والفتان والشيطان والماكر
فتنة لأنها أدت إلى إفساد القبائل المغربية.

ـ ماهو تعليل الناصري لهذا التحول من الجهاد

في الواقع، تلخص العبارة الأخيرة ((انعكس
للفرنسيين)) التعليم العام الذي تحدث عنه الناصر

2 . 1 ـ لماذا تغير حال الأمير وكيف ؟

Créé avec nitroPDF professional
Téléchargez la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

السلطان وتحت لواء المخزن وحين دعاه الس عبد ا
أو الرحيل إلى الصحراء رفض واستكبر وخلع عنه طا
المغربية)) و « رام الاستقلال والاستبداد والتملك ع

ـ غير أن الناصرى، لايطرح القضية من باب البحث التاريخي بل يعالجها من زاوية إيديولوجية بحتة فالأمير عبد القادر بحكمه « عامل السلطان المغربي » كان عليه أن ينفذ الأوامر وأن يتقيد بالخدمة الشريفة فكل عمل يخرج عن نطاق هذه الخدمة هو بمثابة العصيان والتخلي ((عن طاعة الامام الحق التي كانت بيعته في عنقه.)) (4).

ـ فالناصري يعتبر الأمير عبد القادر « خادم السلطان في المغرب الأوسط » ليس أكثر أنه لايعترف بشرعية البيعة التي تمت له ولابشرعية الامارة التي اسندت له، لأن البيعة والامارة لاتحققان إلا لأفراد البيت العلوي ويرفض الناصري أن يكون عبد القادر أميرا (يطلق عليه إسم الحاج عبد القادر) لأنه ينحدر من أسرة مرابطية تنتمي إلى الطريقة القادرية فشيوخ الطرق الصوفية غير مؤهلين ـ في نظره ـ لقيادة المسلمين وأمارتهم لأنهم مصدر الفتن فالطرق « تشق عصا الطاعة وتصدع مهج الانام » فتظهر بمظاهر تستهوى بها أهل الجهالة والعماية والضلالة.

ـ فالناصرى مؤرخ رسمي ينطلق من موقع الدفاع عن السلطة الملكية في المغرب الأقصى ويعتبر وحدة المغرب الأقصى في وحدة سلطتها المركزية فكل خروج عن طاعة السلطان فتنة وكل فتنة ضلالة تؤدي إلى تصدع « الجماعة » وزعزعة أركان سلطتها.

انه بحكم تكوينه التقليدي يجمع بين موقف المؤرخ الرسمي الذي يعتبر السلطة المركزية فوق كل إعتبار وموقف العالم السلفي الذي يرفض الفتنة (الفتنة أشد من القتل) وينظر إلى الطرق الصوفية على أنها منبع « الفساد الذي ألم بالمسلمين ».

2 . 2 ـ « خلصت الأرض للفرنسيين » :

ـ يؤكد الناصرى أن مقاومة الأمير ـ بعد هزيمة أسلي ـ صارت « جهادا بلا ثمرة » بل إنقلب نفعه ضررا و« صار حرم الحاج عبد القادر خورا ». (5) فمنذ أن إستولت الفرق العسكرية الفرنسية على زمالة الأمير سنة 1843، فقدت المقاومة ـ في نظر الناصري ـ طاقاتها الرئيسية إذ حكم الجيش الفرنسي سيطرته على الجهة الغربية وإستولى على المدن الرئيسية في الجزائر.

ـ وبعد عقد الصلح بين المغرب الأقصى وفرنسا على إثر معركة أسلي سنة 1844، تحول « الجهاد بلاثمرة » إلى فتنة فالناصرى يعتبر هذا الصلح « إنتصارا للمغرب الأقصى » لأن « فيه مصلحة للأسلام والمسلمين ». فالمغرب الأقصى كان ـ في نظره ـ مهددا في سيادته وسلامة ترابه ووحدة سلطته، على إثر هزيمة سنة 1844 فالهدف من عقد الصلح ـ في هذه الحالة « سد باب الفتنة على الخاص والعام » فالاصرار على المقاومة ومقاتلة الفرنسيين لايخدم مصلحة المغرب الأقصى وسلطته بل هو فتنة وخيانة.

. . . فالناصري ينظر إلى المقاومة الجزائرية من زاوية المصالح السياسية والشرعية للمخزن العلوي أما مصيرها فمتوقف على المصالح العليا للمغرب الأقصى وسلطته أن موقفه الأيديولوجي هذا منعه من فهم الأبعاد الحقيقية للمقاومة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر وتتمثل هذه الأبعاد في تأسيس دولة تحدث القطيعة مع الفكر السياسي التقليدي في المغرب العربي وتقوم على جمع الأراضي الجزائرية وتوحيد القبائل على أساس إلغاء الامتيازات الأقطاعية وتأكيد وحدة السلطة المركزية.

. . . ومع ذلك، فالناصري - بوصفه مؤرخا ينشد الحقيقية التاريخية - يعترف للأمير « بالشجاعة » و « الحنكة » في فنون الحرب، أنه الرجل الذى دوخ الجيش الفرنسي وانتصر عليه في عدة معارك ويذهب إلى مساندته حين نبه المولى عبد الرحمن - سلطان المغرب - إلى ضرورة إصلاح الجيش ودعاه إلى الاستعداد الجدي لمواجهة الجيش الفرنسي في موقعه أسلي، في هذا الصدد يقول : ((ولما احتل الخليفة سيدي محمد باسلي وعسكر به جاءه الحاج عبد القادر. . . فدار بينهما كلام . . . وبين (عبد القادر) كيف كان يقاتل هو العدو. . . وكان هذا الكلام صوابا إلا أنه لم ينجح في القوم لانفساد البواطن)).

3/ المقاومة والأمير في ضوء « سعد السعود » :

« يؤرخ المازري لقبائل المخزن : دوابر وزمالة وبرجية على الخصوص أنه يكتب عن المقاومة المسلحة من خلال مواقف المخزن منها فالغرض الرئيسي - في نظره - ليس التأريخ للأمير عبد القادر، بل إعادة الاعتبار لفئة إجتماعية محظوظة ينتمى إليها جسدا وروحا : قبائل الدوابر والزمالة والبرجية ويسميها مجازا « الأسود » فهي كما يؤكد « عين المراد والتعرض إلى سيرتها التي لايكون فيها الانتقاد ».

. . . يتكون مخزن وهران - عموما - من ثلاث قبائل : هي « الدوابر » بقيادة أسرة « البحايشية » والزمالة بقيادة أسرة « المرسلية » والبرجية بقيادة أسرة « المخفية (أو النقايبية) » ان هذه العائلات هي التي كانت تتولى « القيادة » في الاوطان خلال العهد التركي والفرنسي ومقابل خدماتها، كانت هذه العائلات المخزنية تتمتع بحقوق وإمتيازات (إعفاءات وإقطاعات وغيرها) جعلتها تعتز بمكانتها الاجتماعية وتفتخر بموقعها الاداري والسياسي فأعيانها « فرسان » ذو شجاعة وإقدام، وهم « أهل التدبير والتنظيم فالمخزن هو » ((الناصر للدولة ويدها القوية)).

. . . ويظهر أعيان المخزن بمظاهر الترف والأبهة، يسكنون الأبراج والخيام الكبرى ويركبون الخيل و« تولعوا بلبس الملف والحرير والكتان وشرب الدخان والشمة والأتاي والقهوة » (7).

انهم الخاصة، لايخالطون العامة وينظرون إلى الرعايا نظرة « إفتقار وازدراء » اذ يصفونهم بالصفات القبيحة : أندال، أوباش، غوغاء وسوقة : مصدر القلاقل والفتن في كل زمان ومكان.

- وينظر اعيان المخزن إلى « المرابطين ورجال العلم » نظرة تتخللها أيات الوقار والحذر في آن واحد، يحترمونهم لمكانتهم العلمية والدينية لكنهم يرهبونهم لأعتبارات إجتماعية وسياسية تحيل إلى الصراع القائم بين الارستقراطية العسكرية (أجواد) والارستقراطية الدينية (مرابطون وطلبة) في المجتمع التقليدي.

- في العهد العثماني، وقفت الارستقراطية الدينية موقفا معاديا للسلطة العثمانية فقد قادت حركات إجتماعية وإنتفاضات كبرى ضدها (ثورة درقاوة وثورة التيجانية) أما الارستقراطية العسكرية، فإنها كانت جزءا من السلطة ارتبطت مصالحها الاجتماعية والاقتصادية بالمؤسسة السياسية التركية.

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

- ومع ذلك فالمخزن لايشكل فئة إجتماعية منسجمة همها كما يؤكده - خطأ - إسماعيل العربي ((القيام بدورهم التقليدي في خدمة الحكام والتقاط فئات مائدته بقطع النظر عن جنسه ودينه)) فبين أعيان المخزن وقبائله تنافس يصل أحيانا إلى درجة العداء، ويؤكد الاحتلال الفرنسي لوهران في بداية سنة 1831 الخلافات التي كانت قائمة بين قبائل المخزن فقبل بيعة الأمير عبد القادر، انقسمت قبائل المخزن إلى ثلاثة أجنحة : جناح أول يتمثل في قسم من الدوابر بقيادة الآغا مصطفى بن اسماعيل، فضل خدمة « الحسن بن موسى » وجناح ثان يتمثل في القسم الآخر من الدوابر بقيادة محمد المازري دخل خدمة سلطان المغرب الأقصى وقسم ثالث يتمثل في الزمالة بقيادة « ابن تازي » وفضل خدمة الباي التونسي الذى أتت به إدارة كلوزيل وأعلنته حاكما على وهران.

- وبعد مدة، لم تمر هذه التحالفات، فالتحقت جميع قبائل المخزن بالمقاومة المسلحة وشاركوا في المعارك الأولى التي قادها الشيخ محي الدين والد الأمير في هذا الصدد يقول المازري ((فوافقوا على الجهاد ورغبوا فيه)). (8)

3 . 1 - موقف المخزن من المقاومة والأمير :

. . . بقي المخزن وأعيانه مدة في صفوف المقاومة ليتخلوا عنها نهائيا حوالي منتصف سنة 1835 وصار المخزن أحيانا يحتمى بملك المغرب وأحيانا بفرنسا ليستقر رأيه في الأخير على خدمة الادارة الفرنسية.

ولم تلتحق قبائل المخزن كلها دفعة واحدة بالادارة الفرنسية فكان أول جناح إلتحق بفرنسا هو جناح الآغا مصطفى بن اسماعيل ثم تلاه جناح الزمالة وفي الأخير جاء دور المازري والبرجية وكان ذلك في ديسمبر 1835 .

- ومع المخزن انفصلت فئات إجتماعية أخرى كالكراغلة في تلمسان ومستغانم وحاربت « درقاوة » و « التيجانية » الأمير عبد القادر لكنها لم تلتحق بالجيش الفرنسي ولم يكن الخلاف بين الأمير والمخزن سياسيا فحسب بل تحول إلى قتال تخللته معارك عنيفة أهمها معركة « المهراز » في جويليا 1834 . فإذا استمر المخزن مدة في خدمة المقاومة والأمير فذلك لرواج بضاعته وإطاعة أهل المغرب الأوسط مابين الرضى والجبر)) (9).

3 . 2 - كيف يفسر المازري إنفصال المخزن عن المقاومة :

- يتجه المؤلف في تعليل موقف المخزن إلى التركيز على سببين هامين :

أولهما : الخلاف التقليدي القائم بين قبائل المخزن وقبائل الرعايا.
ثانيهما : موقف المخزن من الاصلاحات التي اتخذها الأمير عبد القادر لتدعيم المقاومة المسلحة وتنظيمها.

وإلى هذين السببين يضيف المازري ماسماه « بعيوب » الأمير فهو في نظره « الغادر » و« الباغض » و« الماكر » و« المصغي للأنذال والأوباش » نفسه جنة حوائطها نار.

. . . يحيل الصراع القائم بين المخزن والقبائل الرعية إلى التناقض التقليدي بين فئة عسكرية إدارية ـ كانت تحتل قمة الهرم الاجتماعي في الريف الجزائري وبين بقية السكان الذين يخضعون لاستقلالها وسيطرتها وراء هذا الصراع ـ إذن ـ مصالح مختلفة ترتبط بالأرض والضريبة والنفوذ.

ـ وأراد الأمير عبد القادر، منذ أن تولى قيادة الجهادان يصفي قواعد هذا التناقض بين قبائل المخزن والرعية. فالغى الامتيازات التي كان المخزن يتمتع بها وسوى بينه وبين بقية القبائل والزم الجميع باحالة الخلافات إلى سلطته نلمس ذلك من نص البيعة الثانية التي تمت في فبراير 1833 ((لقد امضينا بحول الله وقوته الصلح المبرم بين بني فلان بعدما أمرناه به ومحونا أثر ماكان بينهم من بقايا حمية الجاهلية وألزمنا كل فريق أن يقف عند حده وأن يرفقوا جميع مايعرض من الدعاوي والقضايا إلى من وليناه أمرنا)).

. . . ونلمس سياسة الأمير التي كانت ترمي إلى إزالة أثار هذا التناقض من خلال جهوده التي كانت تهدف إلى توحيد القبائل وصهر وحدتها في وجه الاحتلال الفرنسي أن الخطر الأجنبي وتوجهات الأمير الاصلاحية ألزمته إلى إعادة النظر في العلاقات الاجتماعية الشائعة وتصفية التمايزات التقليدية التي كانت تحول تعبئة جميع الطاقات الحية وبناء مجتمع يقوم على أسس جديدة : المساواة في الحقوق والواجبات بين القبائل، ولاء كافة القبائل لسلطة مركزية موحدة.

ـ غير أن أعيان المخزن لم يفهموا أبعاد سياسة الأمير بل اعتبروا أن أحكامه تصدر عن تحيز لقبائل الرعايا عامة وقبيلة « الحشم » التي ينتمي لها خاصة فالمازري يعاتب الأمير إذا « كان أمره في يد بني عامر والحشم » و « لايعمل بنصائح أهل الرأي والتدبير » وتثور ثائرة الاغا مصطفى بن إسماعيل ((لأن الذين كانوا بالأمس خدامي، أصبحوا اليوم يتكلمون أمامي ويرفعون أصواتهم فوق صوتي)).

ـ ورفضت قبائل المخزن الخضوع لسلطة الأمير لأنها تتمسك بامتيازاتها الاجتماعية وتعارض إجراءات من شأنها ((أن تسوي في المنازعات بين الحقير والعزيز)) (10). فالأمير في نظر المازري « رفض أن ينعم على الدوابر بأرض . . يعمرونها » وبت في النزاع القائم بين « الدوابر » و « بني عامر » حول أرض « ملائمة » لصالح هؤلاء فلنسلمهم هذه الأرض ومنع المخزن من الأغارة عليهم.

. . . لقد أدرك الأمير عبد القادر سبب أحجام قبائل المخزن عن المقاومة إذ يؤكد أن أعيان المخزن ((لا زالوا على سلف الترك سالكين والمشي في سبيلنا تاركين)) (11) فكان يراقب هذه القبائل المرتدة ويمنعها من العصيان ويؤدبها كلما حاولت الاتصال بالجيش الفرنسي.

. . . وفي صائفة 1835، تمكنت من عقد معاهدة مع الجنرال « تريزال » فالحقت بالجيش الفرنسي وحاربت إلى جانبه دفاعا عن حقوقها وإمتيازاتها التقليدة فوراء « خيانة » قبائل المخزن مسالة التمسك بمشروع إجتماعي تقليدي (العهد القديم).

ـ إننا نلمس من قراءة « سعد السعود » حضورا مكثفا للصراعات القبلية خاصة تلك التي تقوم بين قبائل المخزن وقبائل الرعايا انه هذه الصراعات تحيل إلى بنية إجتماعية تقليدية في طور الأزمة، أعاق [illegible] الأمير الاصلاحي

3 . 3 : يعزي المازري الخلاف بين الدوابر والأمير إلى الاصلاحات الادارية والعسكرية التي أقامها هذا الأخير :

ـ لقد عمل الأمير على إرساء قواعد نظام إداري جديد يختلف كل الاختلاف عن التنظيم الاداري العثماني ـ فإذا كان التقسيم الاداري التقليدي يكرس الفوارق الجهوية والعشائرية فإن الادارة الاميرية التي كانت تقوم على أساس توحيد الأراضي الجزائرية وصهر الجماعات القبلية بالغاء الفوارق بينها وإقرار مساواتها في الحقوق والواجبات فقد قسم الجزائر إلى ثمان مقاطعات إدارية يراسها خلفاء ينبون عنه ويخضعون إلى السلطة المركزية واسندت المناصب الادارية وغيرها إلى العناصر التي كانت تتميز بالكفاءة والخبرة والعلم وأجرى الرواتب على الموظفين الكبار (خلفاء، ضباط الجيش وقضاة) لاجتناب ماكان يرتكبه « المخزن » من نهب وابتزاز.

ـ واسقط الأمير الضرائب العثمانية السابقة وعوضها بنظام موحد، فاصبحت القبائل ملزمة بدفع الضرائب دون استثناء والغى الحقوق الاقطاعية التي كان يستفيد منها المخزن ومنع بيع المناصب وحارب الرشوة ومختلسي أموال الدولة.

وأحدث الأمير قوات عسكرية نظامية وزودها بالأسلحة النارية وغيرها وأقام سلسلة من المدن الدفاعية وبنى المصانع الحربية واستعان بذوي الخبرة ـ مسلمين وغير مسلمين ـ كل هذه الاصلاحات أثارت نقصة « الارستقراطية العسكرية » التي كانت تفضل مصالحها الخاصة على ضرورات المقاومة.

ـ إن « سعد السعود » حافل بالشهادات التي تؤكد معارضة المخزن للأصلاحات الاميرية فالمازري يعلل تأسيس الجيش النظامي في عهد الأمير بدافع الثأر من قبائل المخزن ((ولمارأى شوكة المخزن عظيمة ومقاومته لم يكن عليها طاقة . . . نظم جيشه من الركاب والمشاة . . . ولم يكن على المطاوعة فإنهم بين الطاعة والعصاة (12)

ينظر الناصري والمازري إلى الأمير عبد القادر والمقاومة الجزائرية من منطلقات فكرية لاتعكس رسالة « الوطن والحداثة » لأن كليهما يصدر عن مواقف إجتماعية وسياسية تحيل إلى مجتمع ودولة تقليديين.

إن الخطاب « الناصري » يعكس « مصالح سلطة مخزنية » في موقع دفاعي، أما المازري فخطابه التارخي يرتبط بفئة إجتماعية (قبائل المخزن) تناقضت مصالحها مع ضرورات مقاومة مسلحة تستند إلى فكر نهضوي يريد تحقيق القطيعة مع المجتمع التقليدي ومؤسساته.

ـ فالاسطوغرافيا التقليدية في المغرب تقوم على أسس فكرية لاتكرس الوعي بالابعاد الحقيقية للدولة التي أراد الأمير عبد القادر بناءها ان رسالة « الوطن والحداثة » التي ترمز إليها إصلاحاته لانلمسها في الخطاب التاريخي التقليدي إننا نلمسها ـ عموما ـ في الخطاب التاريخي الأوربي بوجهه الاستعماري والليبرالي (رؤية الآخر (13)، وفي الخطاب الوطني الذى يرتكز على الوعي بالحداثة).

nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

1) ـ العروي
2) ـ ومنهم استيرازى ومارتبنبرى
3) ـ الناصرى : الاستقصاء : ج 9 ص، 44.
4) ـ نفس المصدر، ص، 58.
5) ـ نفس المصدر، ص، 50.
6) ـ نفس المصدر، ص، 57.
7) ـ المازرى : طلوع سعد السعود، ج 2، ص، 112.
8) ـ نفس المصدر : ص، 97.
9) ـ نفس المصدر : ص، 124.
10) ـ نفس المصدر : ص، 112.
11) ـ نفس المصدر : ص، 112.
12) ـ نفس المصدر : ص، 119.
13) ـ تأكيدا لقولنا : نسوق الاستشهادات التالية.

ـ يقول المؤرخ الاستعمارى : أ، برنارد في كتابه الجزائر :

ـ ويقول أزان في كتابه ((الأمير عبد القادر من التعصب الاصلاحي إلى الوطنية الفرنسية))
((كان هدفه الوحيد تأسيس قومية عربية في الجزائر وكان طموحه إستقلال العرب في الجزائر ملتفين تحت رايته : فكرة جديدة لامحالة لكن لانجد لها أصلا في القرآن الذى لاينهى على مبدأ القوميات)) نقلا عن الجزائريين الماضي والحاضر. . . ص، 258.
ـ ويقول جاك بيرك في كتابه « المغرب : تاريخ ومجتمعا ».

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

ـ قائمة المراجع :

أحمد الناصرى :
الاستقصافى أخبار دول المغرب الأقصى الجزء التاسع : الدار البيضاء 1956.

ابن عودة المازرى :
طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود ـ (2 ج) تحقيق يحي بوعزيز ـ بيروت 1990.

اسماعيل العربي :
المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ـ الجزائر 1982.